



شهد العيان يؤكدون عبر بعض القنوات الفضائية أن الثورة تcum بـأيدي إيرانية ولبنانية، والصمت الأمريكي مطبقٌ حيال هذا التدخل السافر من إيران في شؤون الغير دون تفويض من أحد.

حقاً لن تعامل الولايات المتحدة الأمريكية مع الوضع في سوريا كما تعاملت مع الأوضاع في تونس ومصر وليبية، ولعل ذلك يرجع إلى أن التغيير الديمقراطي في دمشق لم يأت دوره بعد للمساهمة في تكوين خارطة الشرق الأوسط الجديد والتي سوف تضمن لأمريكا مكاناً ليس بالتأكيد أفضل من سابقه لتضع أنفها فيه في كل ناحية من الشرق الأوسط ، ولكن أكثر ملائمة ل الواقع العالمي الجديد.

لم أجد جواباً مقنعاً يفسر تغير موقف البيت الأبيض في سوريا عن موقفه بالأمس من مصر إلا هذا التفسير الذي أعتبره منسجماً جداً ولم تنجح في زعزعته جميع الإشكالات التي طرحتها بيني وبين نفسي وأنا أتأمل الموقف بهدوء.

مما قلته بيني وبين نفسي: النظام السوري قد لا يكون محبوباً لدى الأمريكيين، بل ربما يُعتبر هو النظام الأكثر إزعاجاً لهم من جهة مدى احترامه لحقوق الإنسان التي يعتبرها الأمريكيون سلحاً إعلامياً يستخدمونه متى شاءوا، وسوف يكونون أكثر ارتياحاً لو استبدلوا بنظام أكثر ديمقراطية كما حدث في مصر وتونس، وفيما يتعلق بمصلحتهم المشتركة مع الصهاينة في حماية الجبهة الشمالية الشرقية من الكيان الصهيوني فإن للديمقراطيات هي الأخرى آذانً يُمكن أن تقرص منها ليبقى الحال على ما هو عليه، بالضبط كما حصل في تركيا التي مازالت تحتفظ بجميع معاهااتها مع الصهاينة بالرغم من النزاهة التي وصل بها العدالة والتنمية إلى الحكم وليس ذلك إلا بفضل شحمة آذن الديمقراطية التركية وأصابع أمريكا الدقيقة.

بالرغم من كل ذلك فوقت استبدال النظام السوري لم يكن بعد، لأنه سيؤدي إلى تعطيل خطط الحليف الإيراني التي يُعول عليها الطfan الأمريكي والإيراني على حد سواء، فالنظام السوري يعني الإيرانيين كثيراً من أجل إنجاز المرحلة المهمة من مراحل مشروع الدولة الفارسية الكبرى، وهو المشروع الذي تعتبره أمريكا حلماً مشروعاً يُمكن لها أن تستثمره في سبيل

تحقيق حلمها هي المشروع أيضاً وهو الشرق الأوسط الجديد.

إيران لها حلم والولايات المتحدة لها حلم، وكلا الطرفين يعتقد أنه يستخدم الآخر لتحقيق حلمه.

هذا هو التفسير الوحيد الذي أقتنع به دون غيره من التفسيرات التي يُبالغ أصحابها في تصديق العداء الإيراني الأمريكي والعداء الإسرائيلي.

هذه الطريقة في التفكير لم تعد مستغربة، بل الكثيرون الآن يتكلمون بها في الصحف والمحطات الإذاعية والتلفزيونية، بل صدرت مؤلفات علمية تؤيد صحة هذه الطريقة في التفكير منها على سبيل المثال: محركات السياسة الإيرانية في الخليج، للدكتور عادل علي عبدالله المستشار الحالي لأمين مجلس التعاون الخليجي، وكتاب الحلف القدري بين إيران.

لكنها طريقة كانت مشنوعة قبل بضع سنوات حين كان القليلون هم من يجرؤ على التحدث بها، وكان ينالهم من الازدراة ما ينالهم وليس أقله التهمة بالسذاجة والسطحية والإيغال في التأثر بنظرية المؤامرة.

شيء من ذلك كتبته قبل بضع سنوات وتذكرته وأنا أتأمل المشهد في سوريا، وشهاد العيان يؤكدون عبر بعض القنوات الفضائية أن الثورة تعم بأيدي إيرانية ولبنانية، والصمت الأمريكي مطبقٌ حيال هذا التدخل السافر من إيران في شؤون الغير دون تفويض من أحد.

عدت لما كنت كتبته فوجدت أن شيئاً لم يتغير وأن مقال الأمس يصلح ليكون مقال اليوم.

قلت آنذاك: "بعد الثورة الإسلامية في إيران والتي جعلت من أولياتها نشر المذهب الشيعي في العالم الإسلامي واجه القائمون على تنفيذ هذه الأولية عقبة كأداء تمثلت في كون المذهب الشيعي لا يرى مشروعية الجهاد إلا مع الإمام المعصوم، ولم تكن هذه الفكرة محل تقبية أو إخفاء لدى مراجع الصفوين كأمثال محمد باقر الصدر في كتابه (اقتصادانا) وهذا يعني للشعوب الإسلامية المتuelle إلى التخلص من زمن الهزيمة أن عليها تأجيل التفكير في حلول عسكرية إلى أمد غير محدد ، وكان المراجع الصفوين على اقتدار تام لتأويل هذا القول أو إيجاد مخارج فقهية له لو لا أن التاريخ الشيعي بات أمام جميع المطالعين فقيراً بالرموز الجهادية منذ تأسيسه في مقابل مذهب الأكثريية السنوية الممتلئ منذ نشأة الإسلام بمعاملة الجهاد ابتداء بالصحابة الكرام دون استثناء وأبطال الفتوحات الإسلامية من التابعين مروراً بنور الدين زنكي وصلاح الدين والظاهر بيبرس وانتهاءً برموز المقاومة ضد الاستعمار الغربي في العصر الحديث، بل إن التاريخ الشيعي ملطخ بنماذج سيئة من أعداء الإسلام كابن العلقمي ونصر الدين الطوسي وإسماعيل الصفوبي.

هذه العقبة حتمت على حكماء الصفوين والمسؤولين عن تحقيق المطامح الدعوية - وربما التوسعية - للمذهب الشيعي - وربما الدولة الشيعية - أن يقدموا للأمة الإسلامية في هذه الأوقات الحالكة نماذج وضاءة تجيز مباشرة عن أي تساؤل حول الجهاد في المذهب الشيعي دون الحاجة إلى تكليف فتوى بهذا الشأن أو الالتفات إلى التاريخ النضالي الفقير ومحاولة العبث به.

فكان حزب الله اللبناني أنساب ما يكون ل القيام بهذا الدور لاسيما وقد تكاملت فيه عدد من المواقف لا توجد في فرع آخر من فروع هذا الحزب في العالم الإسلامي.

فليس فرع الحزب في لبنان بحاجة إلى تأسيس أرضية جماهيرية كما هو الحال في الفروع الأخرى، كما أن العدو جاهز ولا

يحتاج إلى صناعة بل هو عدو من الطراز المطلوب حيث يلتقي جميع المسلمين على عداوته كما يلتكون على قبلة واحدة الأمر الذي يجعل صيتها ذائعا فيما إذا حققوا أمجادا على حساب هذا العدو، كما أن اضطلاع حزب الله بهذه المهمة كفيل بإنساء الذاكرة اللبنانية والعربية والفلسطينية جرائم منظمة أمل الشيعية والتي اقترفتها أثناء الحرب الأهلية بحق المخيمات الفلسطينية رغم أن هذه الجرائم لم تحظ حتى الساعة بظهور إعلامي نظرا للظروف التي أحاطت بوقوعها أو لأمور أخرى الله أعلم بها، ونسجل هنا عالمة استفهام: هل هذا التجاهل حتى اليوم لكونها منظمة شيعية؟

إلى هنا ولا اعتراض على القصة إذ لا بأس أن يُقال: إن من حق كل طائفة تعتقد صحة تعاليمها أن ترسخ قدمها وتدعوا إلى مذهبها ول يكن من نتائج ذلك تعزيز نفوذها وإحكام سيطرتها لاسيما إذا صحب ذلك تصحيح بعض مفاهيمها والتكفير عن بعض ما يجب التكفير عنه من أخطاء الماضي، لا بأس بكل ذلك، لكن القصة لم تنته.

تقاطعت مصالح الصوفيين مع مصالح أعداء الإسلام –ولاحظ أنتي أقول تقاطعت ولم أقل حتى الآن توافقت وأقول تقاطعت ولم أقل حتى الآن تآمرت– فقوة حزب الله ونفوذه تعنيان استحالة قيام دولة حقيقة في حدود إسرائيل الشمالية حيث لا يمكن لدولة لبنان نزع أسلحة هذا الحزب القوي الذي يتبنى مقاومة المحتل كما أن هذا الحزب لا يمكنه الانصياع لدولة ما زال يخيفها هاجس الحرب الأهلية ولا بأس أن يعطي العدو حزب الله بعض المكاسب المعنوية التي تكفل لهم تحقيق المد الفكري وهي في حقيقتها لا تؤثر على دولة إسرائيل إذ إنها مطالبات بأسرى لن يخسر اليهود ولو أطلقواهم جميعاً ومزارع لا تتجاوز مساحتها الأربع كيلو مترات تتجاوزها مطامح الصهاينة كثيراً، والخاسر الحقيقي جراء تلك المطالبات هم اللبنانيون جميعهم والسنة منهم على الخصوص.

أما الصهاينة فإن نجاح حزب الله في نشر طروحاته الدينية التي ليست في أصلها معاداة لليهود على حساب طروحات آخر يعد مكسباً لا بأس في أن يُدفع ثمناً له مكاسبٌ ضئيلة تعود اليهود على تقديم أكبر منها في سبيل الوصول إلى غايات أكثر بعداً.

وكما أن المقاصد الدينية لدى صهاينة النصارى الأميركيين تقاطعت مع مقاصد الصهاينة اليهود رغم العداء العقدي والتاريخي بين الفريقين، فكذلك وبالحرف تقاطعت مقاصد الصوفيين مع مقاصد اليهود الصهاينة. فاليهود يقيمون دولة لملك من آل داود، والصوفيون يقيمون دولة لمهدي يحكم بشرع داود، واليهود يتوعدون بقتل العرب قاطبة في معركة وادي هرمدون مع ملتهم، ومهدي الصوفيين أعظم نكایة في العرب من ملك داود. وهذه الحقيقة المرة تخفى على الكثيرين حتى من الصوفيين أنفسهم إذ يعتقدون أنهم ينتظرون مهدياً يحكم بالإسلام ويعز الله به العرب معدن الرسالة وأصل الأئمة، إلا أن كتبهم ناطقة بغير ذلك.

روى المجلسي في بحار الأنوار 52/318: أن المنتظر يسير في العرب بما في الجفر الأحمر –كتاب مزعوم يظهر به القائم المزعوم– وهو قتلهم.

وروى أيضاً 62/349: ما بقي بيننا وبين العرب إلا الذبح.
وروى أيضاً 52/333 اتق العرب فإن لهم خبر سوء أما إنه لم يخرج مع القائم منهم واحد.

ولنقف عند هذه الرواية المروعة عند المجلسي في بحار الأنوار 52/353 عن جعفر الصادق: لو علم الناس ما يصنع القائم

إذا خرج لأحب أكثراهم ألا يروه بما يقتل من الناس حتى يقول كثير من الناس ليس هذا من آل محمد ولو كان من آل محمد لرحم.

والقارئ لروايات الصفويين في كتبهم المعتمدة حول جرائم مهديهم المزعوم في قتل العرب والمسلمين لا يبعد عنه ما ذكره سفر يوشع بن نون في تعداد آثاره في استئصال الكنعانيين

والسيد محمد صادق الصدر في كتابه في: تاريخ ما بعد الظهور، يؤكد توادر هذه الروايات وأن نكبة مهديهم ستكون في المسلمين، بل العجيب أنه بعد تصفيته للMuslimين لا يريق مرحماً من دم في سبيل نشر دينه الجديد هكذا. وما ي قوله منكراً روايات العامة -أهل السنة- التي تقول إن المهدي لا يريق دماً مطلقاً: وإزاء هذه الأحاديث المتواترة القطعية-يقصد أحاديثهم في القتل النزيع-، يوجد ما ينفي مباشرة الإمام المهدي (ع) للقتل، الأمر الذي سمعنا تكذيبه من الأخبار السابقة ثم يسوق الأحاديث الكاذبة في زعمه عند أهل السنة الصفحة 398 .

أما حكم الإمام بحكم آل داود فقد جاء في أعظم مصادر الصفويين وأوثقها عندهم وهو كتاب الكافي للكليني حيث عقد بابا في الأئمة إذا ظهر أمرهم حكموا بحكم آل داود ولا يسألون البينة ثم روى عن جعفر الصادق: إذا قام قائم آل محمد حكم بحكم داود وسليمان ولا يسأل بينة. أصول الكافي 1/397 .

ولا يكذب السيد الصدر هذه الروايات فقد عقد لها فصلاً بعنوان المبررات الكافية لاتخاذ المهدي أسلوب قضاء داود وسليمان الصفحة 572، ويسوق لتبرير ذلك كلاماً تأويلاً لا يفيده الفهم العربي لتلك النصوص.

إذاً فإن اليهود والنصارى والصفويون ينتظرون رجلاً يقتل العرب ويقيم دين داود فهم إذاً ينتظرون رجلاً واحداً؟
وما يمنعنا أن نصدق ذلك؟

فكمانا صدقنا بتوافق اليهود والنصارى على هذه المصلحة رغم ظهور العداوة التاريخية بينهما، وأنهار الدماء التي سالت بينهما، فما لنا نتوقف عن تصديق توافق اليهود والصفويين وكتابهم الكافي في أوثق أجزائه وأصحها عندهم وهو الأصول ناطق بذلك.

وهناك نقطة التقاء أعظم وأنكى وهي أننا نعلم عداوة اليهود ضمناً للكعبة المشرفة ولا أعرف عنهم نصاً يدعوا إلى هدمها أما الصفويون فإن هدم الكعبة المعظمة من أبرز أعمال قائمهم.

روى المجلسي في بحار الأنوار 52/338 : أن القائم يهدم المسجد الحرام حتى يرده إلى أساسه والمسجد النبوى حتى يرده إلى أساسه.

وهو يهدم المسجد لأن القبلة ستتحول عنه إلى الكوفة، روى الفيض الكاشاني في الواقي 1/215 عن الصادق : يا أهل الكوفة لقد حباكم الله بما لم يحب أحداً من فضل، مصلاكم بيت آدم وبيت نوح وبيت إدريس ومصلى إبراهيم... ولا تذهب الأيام حتى ينصب الحجر الأسود فيه.

ألا يعني كل ذلك تقاطعاً أو التقاء -قل ما شئت- في المقاصد الدينية لدى الفريقيين.

إن هذه المقاصد أبعد ما تكون عن مقاصد أهل السنة بل أبعد ما تكون عن مخاليطهم حتى إن من مخلصي أهل السنة وأهل الفكر فيهم من غضب من شك بعض الطلاب بحقيقة الحرب الدائرة بين حزب الله واليهود فألف مقالة سماها خدعة التحليل العقدي حاول فيها أن يرشد إلى أسلوب أمثل في تصور الأحداث وتصويرها ونحن معه في تبني ذلك الأسلوب الذي دعا إليه لكن لا في جميع الأحوال إذ نجد أنفسنا عاجزين عن تبنيه في هذه القضية.

(2) وأمر آخر تتقاطع فيه مصالح الأعداء مع مصالح الصوفيين وهو كذلك العقبة الثانية أمام المد الشيعي، هو السلفية، فلاتجاه السلفي يحظى بعداوة الفريقين الشديدة فمن جهة شيعية يرى الإمام الخميني في كتابه الحكومة الإسلامية: أن بالإمكان التوافق مع نظام صدام حسين الباعث في العراق وليس هذا ممكنا مع النظام الوهابي في الرياض، كما أن كتابه كشف الأسرار طاف بالبغض الشديد لهذا الفكر وأهله.

وما فتئ علماء الصوفيين في كتاباتهم ومناظراتهم يحاولون جاهدين عزل السلفية عن بقية الاتجاهات السنوية ليوهموا الناس أن الخلاف الحقيقي ليس بين الصوفيين وأهل السنة بل بين هذين الفريقيين من جهة وبين السلفيين من جهة أخرى.

وسر ذلك أن السلفيين هم أشد أهل السنة قولا في البدع إذ لا تقتصر البدعة عندهم على الجوانب العملية وحسب بل تسبق ذلك إلى منهج التلقي والفهم لنصوص الكتاب والسنة واستنباط الأحكام والعقائد، مقتصرین في ذلك على طريقة الجيل الأول من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم بإحسان هذا الجيل الذي يكن له الصوفيون بغضها شديدا وبقدر ما يكون البعد منه أو القرب يكون البعد عن التشيع بمفهومه المذهبي أو القرب منه.

وهذه الطريقة كفلت للسلفيين حصانة من البدع وأبقتهم أكثر المسلمين نقاء من أوضار الخرافية وبعدا عن سفاسف التأويلاط فجعل مذهبهم ينتشر بروحه وبساطته ودون جهد يذكر من أهله في جميع أرجاء العالم الإسلامي بل ويوثر إيجاباً على أبناء الفرق السنوية الأخرى حتى إن كثيراً ممن يظهرون مخالفة السلفية في منطلقاتها تأثروا بها شعروا أم لم يشعروا.

فكان السلفيون في طرف الصوفيين في الطرف المقابل، وبقي السلفيون علماء وعامة أبعد ما يكونون عن التأثر بمفاهيم الصوفيين الذين اجتهدوا منذ الثورة الإيرانية في تصديرها للعالم الإسلامي في أغلفة محكمة بكل ما تحمله الكلمة تصدير من معنى وكانت قدرة المجتمعات المسلمة في فك تلك الأغلفة وفضح ما تحتها يقدر ما فيها من قرب من الفكر السلفي. الحاصل: أن الدولة الشيعية التي يعدونها للمهدي ويأملون وجودها حقيقة في عام 2050 لا بد لقيامها من نفوذ الفكر السلفي وإبعاده عن الطريق فكرياً وسياسياً بأي وسيلة كانت.

وها هي خطط الصوفيين في تكوين فيدرالية شيعية بجنوب العراق -كان ذلك أثناء كتابة المقال أما اليوم فالملحظ إقامة دولة البحرين الكبرى وعاصمتها البصرة- بالتعاون مع المحتل الأمريكي تواجه وبقوة من المقاومة العراقية التي هي بمختلف أطيافها سنية سلفية كما يبدوا من تصريحات قادتها التي تذاع من حين آخر.

وإذا كان السنة أثبت وأنجس عند الصوفيين من اليهود فما بالك بالسلفيين منهم الذين هم أبعد السنة عن مقارفة ما عليه الصوفيين، قال سيدهم نعمة الله الجزائري في الأنوار النعمانية 2/206 عن حكم أهل السنة: إنهم كفار أنجاس بإجماع علماء

الصفويين وإنهم شر من اليهود والنصارى وأن من علامات الناصبى تقديم غير علي عليه.

فإذا كنا عندهم شر من اليهود فما العجيب في أن تتقاطع مصالحهم مع اليهود ضدنا.

والمفید لنا هنا أن نتذکر أن المناظرین الصفویین إذا ووجھوا بمثل هذه النصوص من نعمة الله الجزائری أبوا البراءة منها والقول بخطأ سیدهم واكتفوا بتأویلها تأویلات باطنیة سمجة.

أما اليهود فلا نحتاج إلى إطالة في بيان عدائهم لأهل السنة الذين يخيفونهم بما يرونـه من مشروعـية الجهـاد في كل زمان ومكان إلا أن الطرق الصوفـية الغـالية والمحـسوـبة على أهلـ السـنة شـغلـت نفسـها بشـعـائـرـها الـبدـعـيـة الدـاعـيـة إلى اـنـصـرافـ الإـنـسـانـ إلىـ نـفـسـهـ وـانـزـالـهـ عنـ كـلـ ماـ يـحـيـطـ بـهـ فـيـ شـعـائـرـ رـهـبـانـيـةـ ماـ أـنـزـلـ اللـهـ بـهـاـ مـاـ سـلـطـانـ وـكـانـ الجـهـادـ فـيـ سـبـيلـ اللـهـ أـحـدـ ماـ شـغـلـتـ الـطـرـقـ الصـوـفـيـةـ نـفـسـهـ عـنـهـ مـاـ شـعـائـرـ إـسـلـامـ وـكـانـ لـتـمـكـنـ هـذـهـ الـطـرـقـ فـيـ مـخـتـلـفـ أـنـحـاءـ الـعـالـمـ إـسـلـامـيـ وـعـدـمـ تـفـاعـلـهـ مـعـ الـأـحـادـثـ أـكـبـرـ الـأـثـرـ فـيـ تـمـكـنـ الدـوـلـ الـصـلـيـبـيـةـ فـيـ مـطـلـعـ الـعـصـرـ الـحـدـيـثـ مـنـ الـاستـيـلـاءـ عـلـىـ مـعـظـمـ بـلـادـ الـمـسـلـمـيـنـ الـتـيـ لـمـ تـنـهـضـ لـمـقـاـوـمـةـ الـمـحـتـلـ إـلـاـ مـعـ النـهـضـةـ السـلـفـيـةـ فـيـ مـطـلـعـ الـعـصـرـ الـحـدـيـثـ وـأـصـبـحـ لـكـلـ بـقـاعـ الـمـسـلـمـيـنـ حـظـ مـنـ مـقـاـوـمـةـ الـمـحـتـلـ بـقـدـرـ حـظـهـ مـنـ التـأـثـرـ بـالـفـكـرـ السـلـفـيـ وـبـعـدـ عـنـ الـانـزـالـيـةـ الصـوـفـيـةـ وـقـدـ وـصـلـ التـأـثـرـ السـلـفـيـ إـلـىـ الصـوـفـيـةـ نـفـسـهـاـ حـيـثـ شـهـدـ مـطـلـعـ الـعـصـرـ الـحـدـيـثـ تـأـسـيـسـ طـرـقـ صـوـفـيـةـ حـاـوـلـتـ الجـمـعـ بـيـنـ تـرـكـيـةـ النـفـسـ الصـوـفـيـةـ وـالـالـتـفـاتـ إـلـىـ الـعـلـمـ إـسـلـامـيـ وـالـذـيـ هـوـ مـنـ مـقـوـمـاتـ الـفـكـرـ السـلـفـيـ كـمـاـ حـدـثـ فـيـ لـيـبـيـاـ وـتـأـسـيـسـ الـطـرـيـقـةـ السـنـوـسـيـةـ.

إذا فأعداء الإسلام لهم تجارب غير محمودة مع السلفية جعلت محاربة الفكر السلفي وتشويهه ودعم خصومه من أهم ما تعمل عليه من استراتيجيات في المنطقة.

(3) فإذا كان الصفویین یبشـرونـ بـقتـلـناـ مـعـ إـمـامـهـ المـزـعـومـ كـمـاـ یـبـشـرـ بـذـلـكـ الـيـهـودـ وـالـنـصـارـىـ مـعـ مـلـكـ آـلـ دـاـوـدـ وإنـذاـ كـانـواـ یـرـوـنـنـاـ أـخـبـتـ وـأـنـجـسـ مـنـ الـيـهـودـ وـإـذـاـ كـانـتـ مـصـالـحـهـمـ تـلـقـيـ أوـ تـقـاطـعـ ضـدـنـاـ مـعـ الـيـهـودـ وـالـنـصـارـىـ فـهـلـ ماـ يـحـدـثـ بـيـنـهـمـ عـدـاـوـةـ وـسـجـالـ تـمـثـيلـيـةـ كـمـاـ یـقـولـ الـبعـضـ؟

إنـ للـفـائـلـينـ بـأـنـ ماـ يـحـدـثـ هـوـ تـمـثـيلـيـةـ مـبـرـراتـ لـاـ يـمـكـنـ أـنـ نـسـتـهـجـنـهاـ أـوـ نـسـتـهـجـنـ بهاـ لـاـ سـيـماـ وـأـنـ الـعـصـرـ الـحـدـيـثـ قـدـ كـشـفـ لـنـاـ عـدـدـاـ مـنـ مـسـرـحـيـاتـ الـعـدـاـوـةـ الـتـيـ سـالـتـ فـيـهـاـ دـمـاءـ حـقـيقـيـةـ ثـمـ تـبـيـنـ بـعـدـ عـقـودـ أـنـهـاـ كـانـتـ مـسـرـحـيـاتـ هـادـفـةـ،ـ وـلـيـسـ أـقـلـهـاـ خـطـرـاـ مـسـرـحـيـةـ ثـورـةـ الـيـهـودـ الـهـاجـانـاـ عـلـىـ الـاـنـتـدـابـ الـبـرـيـطـانـيـ فـيـ فـلـسـطـيـنـ وـالـتـيـ خـرـجـتـ عـلـىـ إـثـرـهـاـ الـدـوـلـةـ الـمـنـتـدـبـةـ لـتـسـلـمـ الـبـلـدـ لـلـتـوـارـ الـيـهـودـ سـنـةـ 1948ـ وـذـلـكـ بـطـرـيـقـةـ قـانـونـيـةـ شـكـلـاـ،ـ دـوـلـةـ مـنـتـدـبـةـ سـلـمـتـ الـبـلـدـ لـلـتـوـارـ هـكـذـاـ وـبـكـلـ بـسـاطـةـ.

كـمـاـ ظـهـرـ جـلـيـاـ مـنـ خـلـالـ كـتـابـاتـ وـلـيـمـ كـارـ وـرـجـاءـ جـارـوـدـيـ أـنـ المـذـابـحـ الـتـيـ لـحـقـتـ بـالـيـهـودـ عـلـىـ يـدـ الـأـلـمـانـ كـانـتـ مـسـرـحـيـةـ كـبـيـرـةـ أـرـيـقـتـ فـيـهـاـ دـمـاءـ كـثـيـرـةـ لـكـنـهاـ مـعـ هـذـهـ دـمـاءـ ظـلـلـتـ مـسـرـحـيـةـ هـادـفـةـ.

إـذـاـ فـالـقـولـ بـأـنـهـ تـمـثـيلـيـةـ لـيـسـ قـوـلـاـ سـقـيـمـاـ كـمـاـ يـحـلـوـ لـلـبـعـضـ أـنـ يـصـوـرـهـ لـكـنـهـ مـعـ تـوـجـهـهـ لـيـسـ حـتـىـ هـذـهـ السـاعـةـ الـقـولـ الـذـيـ أـمـيـلـ إـلـيـهـ.

ذلك أن التمثيليات الخطيرة من هذا النوع والتي تراق فيها الدماء ويعيث فيها بعقول الشعوب ومقدراتهم يكون فيها عادة من الإحکام والسرية ما يجعل فضحها أمراً يحتاج إلى عقود طويلة من الزمن ويظل القول بها نوعاً من التخرص الذي يبعد بصاحبها عن الحلول الواقعية ويدخل به في حمأة جدال لا ينتهي ثم لا يصل معه إلى أكثر من كونها توقعات، هذا ما لا نريده.

ونحن وإن قلنا في الصوفيين واليهود ما قلنا فلا شك أنهم أمتان متغایرتان متعاديتان لكل واحدة منهما مصالح وإن تقاطعت مع مصالح الأخرى أو ربما توافقت فترة من الزمن أو في جانب معين إلا أنها لا يمكن أن تتطابق كما لا يمكن أن تتطابق مصالح أي أمتين على هذه البساطة.

فما يحدث هو عداوة حقيقة ولكن لا بأس للأعداء من تمكين بعضهم لبعض وذلك في الأمور التي يخسر الفريقان إذا اخذا فيها مواقف متغيرة.

فالحرب الأخيرة مثلاً كانت حرباً حقيقة لكن الفريقين سارا فيها سيرة تحقق لكل منها ما يريد من مكاسب.

أما اليهود فقد أوقعوا بالحزب من الخسائر المادية والبشرية ما يكفل لهم أمن جانبه ولمدة سنوات عديدة، ولم يجهزوا عليه لأن موته يعني وحدة الدولة اللبنانية وقوة السنة في هذه الدولة وهي قوة لا يريدونها في حدودهم الشمالية بعد أن ذاقوا الأمرين منها لدى السنة في فلسطين في الجنوب والوسط والعرب السنة داخل حدود الثمانية والأربعين الذين تذكر التقارير أنهم بالرغم من محاولات اليهود الجادة منذ إنشاء الكيان الصهيوني لاستيعابهم إلا أن التدين والروح الجهادية والعدائية لليهود تنموا بينهم مع إشراقة كل صباح.

كما أن كيانهم محاط بدول سنية فكان من مصلحتهم أن يوجدو لأنفسهم منفذًا شيعياً في الشمال يرون أنه وإن عاداهم إلا أن هذا العداء يمكن استيعابه على عكس العداء السنوي.

واستفاد حزب الله أن ظهر بمظهر المنتصر الصامد أمام العدو الصهيوني في وقت يبحث فيه المسلمين عن قيادات دينية تحقق نصراً، وهذا ما أكسب الصوفيين قبولاً بين السنة حتى المثقفين منهم بل وصل القبول للشيعة إلى حد إعجاب كثير من السلفيين بمنجزات الحزب ضد إسرائيل وهو أمر لم يكن الصوفيين ليحلموا به لو لا مثل هذا النصر.

وقد سارع الصوفيون في استغلال هذا الموقف فكتفوا من الدعوة إلى التشيع في هذه الفترة الوجيزه وحققوا مكاسب فعلية ولا أعني بذلك استقطاب كثرين إلى التشيع، بل تأسيس أرضية لقبول الاستماع بإن الصوفيين دعاة الصوفيين وهو مكسب لا يمكن أن يقال عنه إلا أنه إنجاز خطير لم يكن ليتم لو لا هذه الحرب ولمعان حزب الله الجهادي، الذي استحق عند كثير من السنة لقب صلاح الدين العصر الحديث (ليته كذلك).

وهو إنجاز جعل أحد رموز السنة وهو الشيخ يوسف القرضاوي المعروف عنه التساهل في أحکامه ضد الصوفيين، أقول: إن هذا الإنجاز جعله يصرخ محذراً من المد الشيعي في مصر واستغلال الصوفيين حب المصريين لرسول الله وآله ليُحوِّلُهم إلى المذهب الشيعي في حين جاءت تقارير من سوريا تحذر من تغلغل شيعي بين الأکثرية السنوية السورية".

المصدر : مركز التأصيل للدراسات والبحوث

المصادر: